

## رؤية بن سلمان 2030.. طموحة ولكنها بحاجة الى سياسة "صغر مشاكل" وليس قعقة السلاح مع ايران



سمير البرغوثي

في محاكاة "للتجربة التركية" في العقد الماضي كشف ولي العهد السعودي محمد بن سلمان العام الماضي عن وثيقة "رؤية 2030 لبناء اقتصاد سعودي لا يعتمد على النفط، وحددت الرؤيا مجموعة من الاهداف اهمها رفع مساهمة القطاع الخاص غير النفطي في الناتج المحلي من 40% الى 67% بحلول 2030، ورفع الايرادات الحكومية بستة اضعاف عبر الضرائب والرسوم وبناء صندوق استثمار سياحي بقيمة 1.8 تريليون دولار

وإذا افترضنا ان معدل النمو السنوي المحافظ لل الاقتصاد السعودي في السنوات الست الماضية (3.7%) سيسود حتى عام 2030 نرى ضخامة المهمة، اذ تهدف الرؤيا الى بناء قطاع خاص غير نفطي بعيداً عن القطاع الحكومي يساهم في الناتج المحلي بـ 723 مليار دولار. وحتى لا نضيع القاريء في متفاصيل الارقام، فما هو مطلوب من القطاع الخاص غير النفطي بحلول 2030 ان يكون قادراً على خلق ناتج محلي يوازي 2.3 مرة الاقتصاد الإسرائيلي الحالي.

عندما اعتلى حزب العدالة والتنمية سدة الحكم في تركيا عام 2002 بعد عقود من الاضطرابات السياسية والانقلابات والانهيار الاقتصادي والتضخم منفلت العقال، وضع نسب عينيه إعادة بناء الاقتصاد التركي من جديد وتحويل تركيا من بلد زراعي ريفي الى بلد صناعي متتطور. وبحلول عام 2011 كان له ما يريد، فقد احتلت تركيا الموضع 17 كأقوى اقتصاد في العالم وتضاعف الناتج المحلي باربع اضعاف وبلغت

الاستثمارات الاجنبية للفترة 150 مليار دولار وارتفع الناتج المحلي للفرد 3 اضعاف ليصل الى اكثر من 10 الاف دولار وحقق الاقتصاد التركي معدل نمو سنوي ما بين 7 الى 9 بالمائة من اهم الاسباب وراء هذا النجاح هو الاستقرار الداخلي الذي نعمت به تركيا ، ولكن الاهم هو سياسة " صفر مشاكل" مع دول الجوار التي تبناها وزير الخارجية الاسيق داود اوغلو اذ أقامت تركيا علاقات طبيعية مع الدول المجاورة رغم الاختلافات، حتى بشار الاسد الذي اصبح راسه مطلوبا لدى القيادة التركية في ليلة وضحاها ، كان اقرب المقربين لاردوغان ووصلت الامور قبل الازمة السورية بفترة بسيطة ان فتحت الحدود لحرية حركة البضائع والافراد بين البلدين، وحتى صدام حسين الذي كان معزولا عالميا وتحت الحصار ويعتبر "خيلا خاسرا" انداك رفضت تركيا السماح لتحالف الناتو الذي هي عضوا فيه استخدام قواعده في اراضيها للهجوم على العراق خلافا لبلدان عربية عديدة.

ولكن "النعمة لم تدم" فالنشوة والرغبة التي اصابت اردوغان وحزبه بقيادة حركة الاخوان المسلمين العالمية بعد استلامها السلطة في اكبر بلد عربي، مصر، ومن ثم تونس وتشكيل الحكومة في المغرب وقيادة الحراك الشعبي في الاردن وتنامي نفوذه في السودان وليبيا واليمن وقطر عوضا عن حكمها قطاع غزة ، دفعته الى المسارعة في دعم الاخوان المسلمين في سوريا الذين كان لهم سبق تفجير المعارضة المسلحة وبقى متاهبا "على وضوء" ليكون اول المسلمين في الجامع الاموي بعد سقوط الاسد الوشيك واستلام جماعته السلطة في سوريا . ولكن على ما يبدو " حساب الحقل لم يطابق حساب البيدر" فقد تورطت تركيا في وحل ازمة لا تعرف كيف الخروج منها وتحولت سياسة " صفر مشاكل " الى سياسة " صفر هدوء" فكانت ان تدخل في مواجهة عسكرية مع روسيا وتوترت العلاقات مع ايران والعراق وفقدت ممرا في الاراضي السورية لـ 50 الف شاحنة محملة بالبضائع التركية سنويا متوجهة الى الاردن وبلدان الخليج. وعلى خلفية أزمة اللاجئين السوريين ساءت العلاقة مع اوروبا وتوترت مع الولايات المتحدة الامريكية على خلفية المسألة الكردية اضافة الى موضوع الداعية فتحي اوغلان، وسرعوا ما عكست سياسة " صفر هدوء" نفسها على "المعجزة التركية" وباتت تهددها فقد انخفض النمو الاقتصادي الى ما دون 1.6% وهو اقل من النمو السكاني وبلغ التضخم 10% نهاية 2016 وانخفضت الاستثمارات الاجنبية الى النصف وبدأت النسبة انخفصت الليرة التركية مقابل الدولار، والاضطرابات السياسية الداخلية اخذت تعود والاخطر ان وحدة الاراضي التركية باتت مهددة.

التجربة التركية تشير بكل وضوح الى ان الاهداف الضخمة والتحولات الاقتصادية الاجتماعية العميقة تحتاج الى هدوء داخلي و " صفر مشاكل" مع دول الجوار. وفي الحالة السعودية تزداد اهمية الاخيرة حيث ان الحفاظ على الاستقرار الداخلي لن يكون سهلا فالصراع مع المؤسسة الدينية المتجددة في كافة مناطق الحياة بل تعتبر احد ركائز الكيان السعودي المعاصر لن يحسن باعتقال عددا من الشيوخ والدعاة، والشباب السعودي الذي تعود لعقود على رتبة الوظيفة الحكومية وامتيازاتها لن يكون مسؤولا بعملية الخصخصة واسعة النطاق، والمواطن السعودي الذي يولد وملعقة الدعم الحكومي في فمه لن يستقبل فرض

ضرائب ورسوم بترحاب . والمرسوم الملكي باعادة البدلات الحكومية بعد عام واحد فقط على الغائها مؤشر عل ذلك .

منذ ان استقرت الادارة الامريكية الجديدة في البيت الابيض اخذت تبني استراتيجية التصعيد مع ايران وحلفاءها في المنطقة توجت مؤخرا باعلان سياسة ترامب بشأن ايران، ملخصها "حرب باردة" في المنطقة تتطور الى حرب بالوكالة ، مفتوحة امام خيار الصدام العسكري المباشر، ولتحقيق ذلك تسعى الادارة الامريكية لانشاء حلف عريض من بلدان المنطقة.

لا اعتقاد ان من مصلحة الامة العربية بشكل عام وبلدان الخليج بشكل خاص والسعودية برؤيه 2030 تحديدا ان تكون عضوا في هذا الحلف الذي يريد نتنياهو ويديره ترامب.

الولايات المتحدة الامريكية لا تكترث بالخطط التنموية لبلدان المنطقة او الديموقراطية وحقوق الانسان او قيادة المرأة للسيارة او الهدوء والاستقرار فقد تعايشت مع ذلك لعقود عديدة، جل ما يهمها هو امن اسرائيل والنفط سا بقا وعوايد النفط لاحقا . ترامب العفوبي بتصرحياته غير الدبلوماسية فضح ما يدور في اذهان صناع القرار في الولايات المتحدة والغرب عندما وصف بلدان الخليج في اثناء حملته الانتخابية بالبقرة الحلوة و يريد ان يحلها وبعد فوزه ايضا صر با انه يريد نصف عائدات النفط مقابل حماية بلدان الخليج. واخيرا في مقابلته مع محطة فوكس نيوز عندما قال، رغم عدائءه لایران، انه لا يعارض ان تعمل المانيا وفرنسا فلوس من ایران. واذا ما قرأتنا هذا التصريح ما بين السطور كأنه يقول "لأصدقائي أنجيلا وكامرون تعالوا نتقاسم الاذوار، انتم بتمسككم بالاتفاق النووي تعملون فلوس من ایران وأنا من خلال التصعيد والتهديد بالتهديد بالغاء الاتفاق اعمل فلوس من بلدان الخليج العربي، نحن أحباء والهدف واحد" هكذا يفكر الغرب ومن يعتقد عكس ذلك فهو ساذج

يعول خبراء رؤية 2030، لتمويل التحولات الكبيرة على خصخصة وتسيل شركة ارامكو التي تملك وتدبر النفط باسم الحكومة ويقدرون قيمة اصول الشركة ب 2 تريليون دولار ومن المفترض ان تبدأ العملية عام 2018 كما اعلن مؤخرا . بالمقابل اذا ما نفذت الاتفاقيات الموقعة مع ترامب في واشنطن لاحقا في الرياض هذا العام والبالغة 450 مليار دولار فسيكون اكثر من 23% من اصول ارامكو قد حجزت لترامب قبل تسليها ، ولا اعتقاد ان لعاب ترامب الذي طالب بالنصف، سيتوقف عن السيلان، وبالنتيجة فحة التوتر مع ایران ستتصاعد وفاتورة " احتواء الخطر الایرانی" ستتضخم.

الولايات المتحدة غير معنية بأمن الخليج، ما يعنيها فقط فلوس الخليج واذا ما شح النفط ستدير ظهرها بلمح البصر ألم يقل احمد ابو الغيط وزير خارجية مصر الاسبق في مذكراته الذي صدرت حديثا على لسان حسني مبارك ،المخضرم في العلاقة مع واشنطن لاكثر من 30 عاما من موقع الرئاسة، قوله " اللي بتغطى بالأمریکان عربیان" ؟ المثال الاحدث ما عبر عنه مسعود برزاني في خطاب التنجي عن خيبة أمله الشديدة من الولايات المتحدة بعد أن عشمته ان الدولة الكردية باتت على ألا بوابا! . والذي يريد أن يتعمق عليه العودة الى أرشيف فضيحة ایران غيت في ثمانينات القرن الماضي . بل أبعد من ذلك ننصح المتخمين

للدخول في حلف أمريكي-إسرائيلي في مواجهة إيران الاطلاع على تصريح مدير مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي الاسبق اسحاق رابين وهو ايتان هايراد الاستراتيجي في إسرائيل ولا يقل قلقاً من نتنياهو على أمن إسرائيل لصحيفة يديعوت أحرونوت حيث طالب إسرائيلبذل كل الجهود من أجل إيجاد سبل لمحادثات مصالحة وسلام مع الإيرانيين. هكذا يفكرون يورطوننا في صراع منهك مع إيران ولكنهم على استعداد لصفقات معها اذا ما اقتضت الحاجة وسنت الظروف ووافقت الأخيرة.

المدام مع إيران وحلفاؤها في المنطقة تتجه وعواقبه غير مضمونة، فقد دفعنا وشجعنا الجيش العراقي بقيادة صدام حسين للدخول في حرب صرrous لأكثر من عشر سنوات مع إيران، قتل مئات الآلاف من شباب العراق، وهدرت مئات المليارات من المال العربي وخرج العراق بدينون باهضة دفعته لاحتلال الكويت وما اعقب ذلك من تطورات مأساوية على الأمة العربية معروفة للجميع، وإذا ما كانت الأمور تقرأ بخواتتها فالقاصي والداني ، العدو قبل الصديق بات يقر بـإيران دولة إقليمية كبرى في المنطقة، أما الجيش العراقي الذي كان دوماً سندـاً للجبهة الشرقية في مواجهة إسرائيل تبخر بقرار أمريكي في ساعات، وصدام حسين مع الاحترام للتاريخ الوطني، وجد مختبئاً في حفرة تحت الأرض، والعراق الان يصارع للحفاظ على وحدته .

منذ صدر الإسلام نحن وإيران نخوض حروبـاً وصدامـاتـ، من فترة لـآخرىـ، ولكن لم يستطع أحدـ أن ينفيـ الآخرـ، سـنـبـقـ كـلـيـنـاـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ إـلـىـ اـبـدـ الـأـبـدـيـنـ وـلـاـ يـضـيـرـنـاـ اـبـنـائـهـمـ اـنـ درـسـواـ اـبـنـائـهـمـ اـنـ الخـلـيـجـ فـارـسيـ وـنـحـنـ درـسـنـاـهـمـ اـنـ الخـلـيـجـ عـرـبـيـ، بـالـنـهـاـيـةـ اـلـكـلـ سـيـسـتـفـيدـ مـنـ الخـلـيـجـ بـمـوجـ بـالـاتـفـاقـيـاتـ وـالـقـوـانـيـنـ الدـولـيـةـ الـمـنـظـمـةـ لـاسـتـخـدـامـ الـبـحـارـ وـالـمـيـاهـ الـمـشـتـرـكـةـ، اـمـاـ الخـلـافـ الـدـيـنـيـ فـيـوـجـدـ الـكـثـيـرـ مـنـ الـعـلـمـاءـ الـاجـلـاءـ وـهـمـ الـغـلـبةـ فـيـ الـطـرـفـيـنـ، الـقـادـرـيـنـ عـلـىـ اـعـادـةـ دـرـاسـةـ التـارـيـخـ الـاسـلـامـيـ بـمـاـ يـضـمـنـ وـحدـةـ لـلـمـسـلـمـيـنـ عـلـىـ أـسـسـ عـصـرـيـةـ شـرـيـطةـ أـنـ يـتـرـكـوـاـ وـشـأـنـهـمـ بـعـيـداـ عـنـ ضـغـوطـاتـ السـيـاسـيـيـنـ وـمـصـالـحـهـمـ الـضـيـقةـ .

يجب إعادة النظر بالاستراتيجية الأمنية فالامن العربي وال الخليجي يجب ان يقوم على تفاهمات عميقـةـ معـ إـرـاـنـ عـلـىـ قـاعـدـةـ توـازـنـ الـمـصالـحـ بـعـيـداـ عـنـ الـخـضـوعـ وـالـأـمـلـاءـاتـ. وـيمـكـنـ لـبـلـدـانـ عـظـمـيـ تـقـعـ فـيـ مـنـتـصـفـ الـمـسـافـةـ بـيـنـ الـطـرـفـيـنـ مـثـلـ روـسـياـ وـالـصـيـنـ اـنـ يـكـوـنـاـ رـاعـيـنـ لـهـذـهـ التـفـاهـمـاتـ. الـصـيـنـ بـصـفـتـهاـ اـكـبـرـ مـسـتـورـدـ لـنـفـطـ الـشـرقـ الـاـوـسـطـ وـرـوـسـياـ بـمـشـارـيـعـ الطـاـقةـ وـالـغـازـ لـهـماـ مـصـالـحـ اـكـثـرـ بـكـثـيـرـ مـنـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدةـ وـبـالـتـالـيـ اـكـثـرـ حـرـصـاـ عـلـىـ اـمـنـ الـمـنـطـقـةـ وـاـسـتـقـرـارـهـاـ، وـالـاـهـمـ مـنـ ذـلـكـ بـحـكـمـ الـاـنـظـمـةـ السـيـاسـيـةـ الدـاخـلـيـةـ لـدـيـهـمـ، وـخـلـوـهـاـ مـنـ مـجـمـوعـاتـ الضـغـطـ وـمـراـكـزـ القـوىـ، غـيرـ مـلـزـمـتـيـنـ بـالـنـظـرـ إـلـىـ الـشـرقـ الـاـوـسـطــ "ـ بـعـيـونـ اـسـرـائـيلـيـةـ".

قبول إيران الاتفاق النووي مع "الشيطان الأكبر" بما يتضمنه من تنازلات وشروط يعكس "روحية سائدة" "ـ بـاـنـهاـ تـرـيدـ اـنـ تـكـوـنـ دـوـلـةـ طـبـيـعـيـةـ"ـ فـيـ الـعـالـمـ مـنـفـتـحـةـ عـلـىـ الـجـمـيعـ بـعـضـ النـظـرـ عـنـ الـاـيـدـوـلـوـجـيـاـ،ـ مـنـ الـصـيـنـ الشـيـوـعـيـةـ ذـيـ الطـابـعـ الرـأـسـمـالـيـ إـلـىـ روـسـياـ الـأـرـثـوذـكـسـيـةـ الرـأـسـمـالـيـةـ وـكـوـبـاـ الشـيـوـعـيـةـ وـالـهـنـدـيـةـ الـهـنـدـوـسـيـةـ مـرـورـاـ بـفـنـزـويـلاـ الـيـسـارـيـةـ الـعـلـمـانـيـةـ،ـ وـاـخـيـراـ وـلـيـسـ اـخـرـاـ بـارـيسـ وـلـنـدـنـ وـبـرـلـيـنـ مـنـشـأـ

الرأسمالية العالمية وذوي التاريخ الاستعماري الطوي، لاعتقد ان هذه الروحية تسمح باقامة علاقات طبيعية مع جيرانها وتؤامها الدينية البلدان العربية السنوية تتيح بناء نظام امني مستقر دون كلفة اذا ما تجاهلنا "الاستراتيجية الامنية الابتزازية للولايات المتحدة"

ان مسيرة نزول النفط عن عرش مصادر الطاقة قد بدأت بلأخذة بالتسارع يتسارع العلم والتكنولوجيا والضغوط على سياسات البيئة والمناخ وقد لا تطول والمهمة الاخيرة الباقيه له قبل ان يصطف بجانب سلفه الفحم الحجري في متحف التاريخ هو توفير السبولة الالازمه لاحاد التحولات العميقه المضخمه على غرار رؤيه 2030، واذا لم نغتنم هذه الفرصة الاخيرة كعرب أخشى أن امنية وزير الخارجية الامريكي الاسبق هنري كيسنجر في اعقاب حرب اكتوبر 1973 بعودة العرب الى حياة الجمال والخيام، تتحقق !

كتاب وباحث فلسطيني